

# أهل الشام

## ريورتاج

ملك غيرهم من السوريين، ذاق المكفوفون ويلات حرب «راوا» فظانها، ولولم تمانيهما ابصارهم. وفيما سلبت الحرب عدداً غير معروف ابصارهم، تعرّف آخرون إلى الحرب وهم مكفوفون. وخلص بعضهم إلى أنّ فقدان البصر قد يكون «نعمة» أحياناً، «يلتم من فقد بصره عادةً بذاكرة جيدة»، مقولة رُحدها مكفوفون تحدّث إليهم «الأخبار»، متبوعةً باستطراد اتصف معظمهم عليه «الذاكرة الجيدة سببٌ لالم كبير»

# الحرب كما «رأها» المكفوفون «نعمة» فقدان البصر!

**نبأ الخطيب**

«لا شيء خلال السنوات الماضية جعلني أتمنى الرؤية». جواب يتفق عليه ميشيل، وغابي، وهما موسيقيان فاقدان للبصر، يعيشان في مدينة اللاذقية التي ظلت بعيدة نسبياً عن نيران الحرب المشاهرة، لكنها خاضتها بنسئ أشكالها الأخرى. يروي الموسيقي غابي صهيوني لـ«الأخبار» الكثير من تفاصيل الحرب التي عاشها، «بعد اندلاع بعض الأحداث في اللاذقية بداية الحرب، وانتشار الكثير من الشائعات حول وجود قنصاة على أسطح المباني، ففرت المخاطرة، والنزول إلى الشارع. كنت أسير وبعياني معلقان بالسماء. صحيح أنني لا أستطيع الرؤية، لكنني كنت أفتش عن ذلك القنص الذي سيقتلني». فقد غابي أحد أقاربه في بداية الحرب، الأمر الذي حوّل تلك المعارك البعيدة نسبياً إلى

واقع ملموس. «اخترقت الحرب حياتنا، وأصبحنا جزءاً منها»، يقول الموسيقي المحبوب في مدينته، والذي بدأ يحقق انتشاراً في الأوساط الفنية بعد تلحينه مجموعة من الأغنيات لفنانين معروفين، ويضيف «شاهدت الحرب بوضوح، ولمستها كأنني مبصر، ولتيني لم أفعل».

واقع ملموس. «اخترقت الحرب حياتنا، وأصبحنا جزءاً منها»، يقول الموسيقي المحبوب في مدينته، والذي بدأ يحقق انتشاراً في الأوساط الفنية بعد تلحينه مجموعة من الأغنيات لفنانين معروفين، ويضيف «شاهدت الحرب بوضوح، ولمستها كأنني مبصر، ولتيني لم أفعل».

## بريد دمشقية

## «تغريبة الداخل»: حسرة على زمن دمشق «الأول»

**سناء إبراهيم**

تورّطت ذاكرة السوريين قبل «الأزمة» بمشهد دموي متكرر، وربما كان وحيداً، هو مشهد العنف الموجه إلى «الذبيحة الحيوانية». خراف تذب في الأعياد والمناسبات، وسط طقوس واحتفالات بعد «الأزمة» تورّطت ذاكرة السوريين بمشهد عنف جديد لم يعد وحيداً، لكنه كان فجأً مرعباً مؤلماً، أصبح الإنسان السوري هو «الذبيحة»، رؤوس مقطوعة معلقة على أعمدة الكهرباء، أجساد مرّتها عنف التطرّف، ولم يخلّ المشهد من الطقوس والاحتفالات أيضاً.

مع انتهاء المعارك في دمشق وعلى أطرافها، وعلى عكس المتوقع، لم تتراجع أعداد الذبائح من السوريين ولا بدأ التعافي، بل إنّ العدد يبدو أخذاً في الازدياد. «الدوشكا» صمّدت، لكن الحرب لم تسكت، مُنّجتها بدا يظفوك على السطح وشوارع العاصمة تقول إن النسبة الأكبر من سوريي الداخل لن يعرهم الدم هذه المرة كي يكونوا «ذبيحة للغد»، بل ستعقرهم الفرجة، وآية فرجة؟ الفرجة على أنفسهم وهم «يلتهمون أنفسهم». ها هو عدنان، الفتى البائع، يفكر جيّداً في الأمر: «أفكر في أنّ ألتهم نفسي بأن أقتل عقلياً وعاطفياً، انظري إلى شوارع الشعلان والعايد والحرا وأبو رمانة ومحالها ومطاعمها. أشعر في العرق يأنها ليست لي، بلاط شوارعها لم يُرصّف لي، والشوارع العام تحول إلى شارع خاص لقيمة السيارات الفارهة بنمرها السورية وسواها. زعران يطمون رؤوسهم خارج نوافذها لتتقي ما بقي من غنائم الحرب، مشاهد البطر والذبح المبتذلة تجعل منا نحن البسطاء،



لاحصاء ات دقيقة بشأن عدد المكفوفين بعد لثمانية اعوام من الحرب (أ ف ب)

مبصرة، راحت تصف لنا الدمار المحيط بنا، فقمنا، أنا وزوجتي، بوضع أيدينا على عيون طفلينا كي لا يريا تلك المشاهد».

استطاع ميشيل بدء حياة جديدة في مسقط رأسه اللاذقية، بعد أن فقد عمله ومنزله وكل ما كان يملكه في «البرموك». أنجبت زوجته الابن الثالث لهما، وبات يعمل في تركيب

الطعمور والتجارة، إضافة إلى نشاطه في «جمعية المكفوفين» التي يشغل فيها منصب نائب رئيس الجمعية ومدير العلاقات العامة.

**مكفوفو الحرب**

بين وقت وآخر ينظم عمر حسنو، وهو طالب جامعي فاقد لحاسة البصر، ورشات عمل ودورات تعليمية للمكفوفين، لتدريبهم على كيفية الاستفادة من التكنولوجيا، ولا سيّما البرامج والتطبيقات التي تساعدهم على دخول عالم «التواصل الاجتماعي»، الأمر الذي حوّلهم إلى مرجع تقني لمعظم مكفوفي اللاذقية. يروي حسنو كحكايات عديدة عن مكفوفين تمكّن من مساعدتهم، قبل أن يستقضى في الشرح حول خصوصية من بينها حالات لأشخاص فقدوا حاستين معاً كالمس والبصر، أو حتى البصر والسمع». عماد (اسم مستعار) مقالته في فصيل رديف للجيش السوري تعرض للخطف

في إدلب، وأقدم المسلحون على قتل جميع المحتجزين معه، كما قام ادهم بزيده (حزّ عنقه بقصد قتله، من دون أن يفصل رأسه كلياً)، نجا عماد من الموت باعجوبة، بعد أن هرب خاطفوه إثر هجوم مباغت شنته وحدة من الجيش، ليستيقظ في المستشفى فاقداً إحدى يديه وبصره وعائلته أيضاً. «لا شيئاً مختلفاً تماماً، وبعيداً عن قصة الحضارة والتاريخ». تضيف بايل: «عنيث أنك في محال الشام القديمة ما زلت قادراً على الجلوس في مقهى الزفرة من دون أن تفقد كرامتك وإنسانيتك. تستطيع الغيرة على بلاطة رُصفت خصيصاً لك، وتشعر معها بأنك ما زلت حي القيصرية وشراء «كرواسان» وقطعة بيتزا، والسير مع الجموع متساوياً مع بقية الخلق، ولا شعور لديك بالغربة. تلك الغربة التي تجتاحك عندما تدخل مول «الشام سيتي سنتر». وتخرج منه عارياً إلا من وحيد، ما الذي أتى بي إلى هنا؟ هذا المكان ليس لي».

«الشام من زمان مو هون، بتلاقىها مخاية بصور الأسود والأبيض المشوية بكراتين مغبرة». عبارة كتبتها إحدى السيدات في تعليق لها على صفحتها على «فيسبوك». هي عبارة أقرت على التنية. لكنها نعية رشيقة القذّ والحرز والجمال. تفوح من جسدها رائحة «دمشق الأولى».

تعليمية للمكفوفين، لتدريبهم على كيفية الاستفادة من التكنولوجيا، ولا سيّما البرامج والتطبيقات التي تساعدهم على دخول عالم «التواصل الاجتماعي»، الأمر الذي حوّلهم إلى مرجع تقني لمعظم مكفوفي اللاذقية. يروي حسنو كحكايات عديدة عن مكفوفين تمكّن من مساعدتهم، قبل أن يستقضى في الشرح حول خصوصية من بينها حالات لأشخاص فقدوا حاستين معاً كالمس والبصر، أو حتى البصر والسمع». عماد (اسم مستعار) مقالته في فصيل رديف للجيش السوري تعرض للخطف

في إدلب، وأقدم المسلحون على قتل جميع المحتجزين معه، كما قام ادهم بزيده (حزّ عنقه بقصد قتله، من دون أن يفصل رأسه كلياً)، نجا عماد من الموت باعجوبة، بعد أن هرب خاطفوه إثر هجوم مباغت شنته وحدة من الجيش، ليستيقظ في المستشفى فاقداً إحدى يديه وبصره وعائلته أيضاً. «لا شيئاً مختلفاً تماماً، وبعيداً عن قصة الحضارة والتاريخ». تضيف بايل: «عنيث أنك في محال الشام القديمة ما زلت قادراً على الجلوس في مقهى الزفرة من دون أن تفقد كرامتك وإنسانيتك. تستطيع الغيرة على بلاطة رُصفت خصيصاً لك، وتشعر معها بأنك ما زلت حي القيصرية وشراء «كرواسان» وقطعة بيتزا، والسير مع الجموع متساوياً مع بقية الخلق، ولا شعور لديك بالغربة. تلك الغربة التي تجتاحك عندما تدخل مول «الشام سيتي سنتر». وتخرج منه عارياً إلا من وحيد، ما الذي أتى بي إلى هنا؟ هذا المكان ليس لي».

لا توجد إحصاءات دقيقة بشأن عدد المكفوفين في سوريا بعد ثمانية أعوام من الحرب، في ظل انكفاء بعض المكفوفين على أنفسهم وعدم تسجيل اسمائهم لدى الجمعيات العنّية بمساعدتهم، وفق «نائب رئيس جمعية المكفوفين في

## بورترية

## مناه ظفّور تحتفي بعشتار «الأم والابنة»



**هاجر الموسى**

قررت منال ظفّور السفر إلى موسكو كي تمضي عيد الأم مع ابنتها عشتار، التي انتقلت للعيش والعمل في العاصمة الروسية قبل أشهر قليلة. غيرت الأم موازين المعادلة التي تقضي عادة بأن يذهب الأبناء إلى منازل أمهاتهم في عيدهن، وأحبّت أن تقول لابنتها مرة أخرى: «أنت صديقتي ورفيقتي وأبنتي أيضاً، وستحقي أن أقطع آلاف الكيلومترات لآراك». فتتشاركا اللحظات الاستثنائية من جديد، بعد أن شاركت الأم ابنتها أصعب اللحظات قبل أربعة أعوام حين أصيبت الابنة بإحدى ذوائف الهاون.

منال، أم لثلاثين، عشتار وكنعان (26 عاماً)، كانت قد تزوجت قبل ثلاثين عاماً، وهي حاصلة على إجازة من كلية الآداب ـ قسم اللغة الفرنسية، وتعلمت (بعد إنجاب توأميها) اللغات الروسية والإنكليزية والسريانية. ترى أم كنعان أن عيد الأم جاء أساساً «من عيد الأم السورية العظيمة عشتار. كان يُطلق عليه اسم أكيثو، وهو أول أيام احتفالات السوريين بأعياد الربيع، التي تمتد بين 21 آذار و4 نيسان». وتضيف السيدة التي تشغل حالياً منصب مندوبة

سوريا في المنظمة الاستشارية للتراث والفولكلور الإنساني» «واقعاً، هو احتفال بعودة الحياة للأرض، وتجدد الطبيعة الأم، ودياة السنة الجديدة... حالياً اسمه عيد الأم، وله أسماء أخرى بحسب البلدان (توأميها) اللغات الروسية والإنكليزية والسريانية. ترى أم كنعان أن عيد الأم جاء أساساً «من عيد الأم السورية العظيمة عشتار. كان يُطلق عليه اسم أكيثو، وهو أول أيام احتفالات السوريين بأعياد الربيع، التي تمتد بين 21 آذار و4 نيسان». وتضيف السيدة التي تشغل حالياً منصب مندوبة

سوريا في المنظمة الاستشارية للتراث والفولكلور الإنساني» «واقعاً، هو احتفال بعودة الحياة للأرض، وتجدد الطبيعة الأم، ودياة السنة الجديدة... حالياً اسمه عيد الأم، وله أسماء أخرى بحسب البلدان (توأميها) اللغات الروسية والإنكليزية والسريانية. ترى أم كنعان أن عيد الأم جاء أساساً «من عيد الأم السورية العظيمة عشتار. كان يُطلق عليه اسم أكيثو، وهو أول أيام احتفالات السوريين بأعياد الربيع، التي تمتد بين 21 آذار و4 نيسان». وتضيف السيدة التي تشغل حالياً منصب مندوبة

سوريا في المنظمة الاستشارية للتراث والفولكلور الإنساني» «واقعاً، هو احتفال بعودة الحياة للأرض، وتجدد الطبيعة الأم، ودياة السنة الجديدة... حالياً اسمه عيد الأم، وله أسماء أخرى بحسب البلدان (توأميها) اللغات الروسية والإنكليزية والسريانية. ترى أم كنعان أن عيد الأم جاء أساساً «من عيد الأم السورية العظيمة عشتار. كان يُطلق عليه اسم أكيثو، وهو أول أيام احتفالات السوريين بأعياد الربيع، التي تمتد بين 21 آذار و4 نيسان». وتضيف السيدة التي تشغل حالياً منصب مندوبة

## لقطة

## إسماعيك خلف ورفاقه: المسرح يهزم التطرّف

**أيهم مرعي**

بالشعارات، لتأكيد رسالة المسرح بوصفه صناعاً للحياة في وجه إرادة الموت. المسرح فعل مقاوم، بمفعول اجتماعي وفني مهم، يتذكّر خلف «حين كان داعش يهاجم المسكّة، كنا نواصل بروفات عرض العنب الحامض، الذي تجسد فكرته المعنى الحقيقي للحرية». ضاعفت الفرقة نشاطها في سنوات الحرب، فانتجت في خلال السنوات الثمانية الأخيرة أكثر من 40 عرضاً مسرحياً، بينما كانت قبل الحرب تقدّم عرضين في كل عام فحسب. كذلك، أطلقت الفرقة مهرجاناً مسرحياً سنوياً، يحل موعد دورته السابعة في نيسان القادم، فيما يؤكّ الممثل الشاب بابل حريب، أحد أبرز وجوه الفرقة. أنّه وزملاءه «سعوا إلى تحقيق رسالة المسرح، باستمرار الحياة، والانتصار على

كل أشكال الموت والتطرف، والانتصار للإنسان السوري الذي قاوم ظروف الحرب، وانتصر عليها». يؤكّد خلف، الشهير بـ«أبو إيفا» أنّ «زراعة الابتسامة في قلوب الأطفال، في وجه كل هذا الموت الذي أريد للبلاد، كانت هاجساً أساسياً. لذلك حدّدّص جزء كبير من العروض المسرحية خلال الحرب، لمسرحيات الطفل والأسرة». ويضيف: «عندما ساءت الأمور وصار من الصعب العرض في المسارح، توجهنا إلى المدارس، وصنعنا الفرخ والابتسامة في باحاتها مع الأطفال رغم أنّ الحرب». بعد تألقها محلياً، نجحت الفرقة في تحدي ظروف الحصار البري الذي فرض على المنطقة الشرقية من سوريا، وتمكّنت من اعتلاء خشبات مسارح دمشق واللاذقية. كذلك مثّلت سوريا في «الأسبوع الثقافي السوري» في تونس 2017، عبر عرض «وجوه أحن لرؤيتها» الذي لاقى صدقً طيباً آنذاك. يعتب خلف على صنّاع الدراما، لغيايهم قبل الحرب وبعدها عن النطقة الشرقية، ويوجّه رسالة إلى المنتجين وقطاع الإنتاج الحكومي، بضرورة صبّ الاهتمام على شرق البلاد، لتوثيق ما عاشته بفعل التطرّف والإرهاب، وحجم المقاومة المدنية والشكرية في الحسكة ودير الزور.

